

بدأنا نشهد في مجتمعنا اللبناني تصاعداً ملحوظاً في حالات الانفصال والطلاق بين الأزواج وذلك لأسباب عديدة يصعب حصرها .
فقد تبدأ من الواقع الإقتصادي والإجتماعي المعقد الذي نعيشه وربما لا تنتهي بالتباين الثقافي والنفسي بين الزوجين .
وإن هذه الظاهرة وجدت طريقها السريع الى طبقة الفنانين والمشاهير وراحت تضغط عليهم وتؤثر سلباً في حياتهم العائلية وحتى المهنية .

لذلك بات ملحاً أن نتطرق الى هذا الموضوع بكافة جوانبه ، لا سيما النفسية منها ومدى تأثيره على جميع الأطراف المعنية وخصوصاً الأولاد .

من هنا نطرح تساؤلات عديدة من شأن الإجابة عنها التخفيف من وطأة الآثار السلبية النفسية لانفصال الزوجين على اولادهما :

هل من انعكاسات نفسية سلبية لانفصال الأب والأم على اولادهما ؟

كيف تتجلى هذه الإنعكاسات وما هو مدى تأثيرها على صحتهم العقلية والنفسية ؟

ما هي عوارض التأثير النفسي للأولاد بالانفصال ؟

ما هي الطريقة الفضلى لنقل خبر الانفصال للأولاد ؟

هل يتأثر كل الأولاد بالطريقة عينها عند انفصال الوالدين ؟

سوف نحاول الإجابة على كل هذه التساؤلات وغيرها فيما يلي :

يولد الطفل وتولد معه مجموعة حاجات نفسية وعاطفية ولعل أهمها تلك التي اجمع عليها العلماء النفسيون ألا وهي " الشعور بالأمان " الذي يفترض أن توفره الدينامية العائلية السليمة ومحيطها ، أي وجود الأب والأم بعاطفتها وحنانها وسلتطهما أيضاً .

والإحساس بالأمان هو الركن الأساس في النمو النفس – العاطفي للطفل .
فكلما كان الجو العائلي سليماً وملائماً ، كلما خفت المشاكل والإضطرابات النفسية عند الطفل ، وكلما كان نموه مستقراً ومعافىً .

ولكن ماذا عندما ينفصل الأهل ؟

لا شك أن مرحلة الانفصال وما بعدها هي مرحلة صعبة ومؤلمة للأولاد ، ولا تمر دون انعكاسات نفسية وعاطفية إلا في حالة واحدة ، عندما يكون الخلاف الزوجي متكرراً وواضحاً للأولاد ، متخذاً منحىً تعنيفياً .

في هذه الحالة فقط يشعر الطفل بأن انفصال الأهل هو حلٌ ويتقبله ، وقد أثبتت الدراسات أن الانفصال في هذه الحالة هو إيجابي للأولاد ويساعد في التعافي سريعاً .

(*Journal of Marriage and the family , Booth & Amato February , 2001*).

أما عندما يفاجئ الأهل الولد بالانفصال ، لغير السبب المذكور آنفاً ، أو عندما يدرك فجأة أن أحد والديه بات غير موجودٍ فهنا الصدمة النفسية .

(*Parental predivorce relations & offspring postdivorce well-being , Journal of marriage and the family , february 2001*)

فالطفل يخسر كثيراً بانفصال أبويه عن بعضهما البعض ، إذ يفقد الشعور بالأمان ، يفقد الحنان الوالدي ، يفقد الصورة المثالية لأبويه ، يفقد الصورة الأبوية للتماهي والإقتداء بهما فيما بعد ، وتغيب كل ميزة إيجابية بهذا الخصوص .

(*BERGER M. 1997*)

فمهما كان الدور الحاضن الذي تلعبه العائلة ومحيطها ومهما كانت حاضرة يكون الانفصال صعباً على الأولاد .

فالأولاد عامة يعارضون انفصال اهلهم ، وهناك رغبة بداخلهم للحفاظ على حضن

الوالدين معاً . (*Peterson & Zill 1986 , in Fischer 1997*)

وتختلف الإنعكاسات النفسية للانفصال من ولد لآخر ومن عمر لآخر ، كما يتأثر الولد كثيراً بالطريقة التي يتلقى بها خبر الانفصال .

لذلك ننصح الأبوين أن يخبرا الأولاد عن الانفصال بنفسيهما وأن يقوموا بذلك معاً ، وعليهما أن يفسرا للولد انهما سوف ينفصلان كزوج وزوجة لكنهما سيبقيان حاضرين كأب وأم ، هذا طبعاً مع حسن الإختيار والتعابير التي تتلاءم وعمر الولد .

(*Dolto F. 1988*)

عند اعلان الانفصال للأولاد يمكن أن نلاحظ العوارض التالية :

- حالة إنكار للواقع (*Denial*) بحيث يتصرف الولد وكأن شيئاً لم يكن .
- شعور بالحزن .
- شعور بالذنب ، بحيث قد يتخيل معظم الأولاد انهم السبب في الانفصال .
- شعور الولد بأن احد الوالدين قد تخلى عنه هو " بالذات " .
- حنين الى مشهد العائلة السابق .
- رغبة في ان يعود الأهل لبعضهم ، حتى ولو انه يشعر في داخله ان هذا مستحيل .

وبما أن حاجات وأفكار الولد تختلف بحسب عمره وترتبط بمراحل نموه النفس – العاطفي ، لذلك تختلف الإنعكاسات السلبية من ولد لآخر .

وقد أثبتت الدراسات العلمية المتخصصة وأهمها ما ورد في كتاب
(*Se séparer sans se déchirer* , Dahan J. ; *Schonen – Desarnauts E.*
(2000) .

إن تجليات التأثير النفسي تكون متفاوتةٍ وفقاً للعمر على الشكل التالي :

أولاً : حديثو الولادة وحتى عمر الثلاث السنوات :

- اضطرابات في النوم .
- احتمال الرجوع الى مراحل سابقة كان قد تخطاها (*Regression*)
- فالولد لا يفهم معنى " الطلاق " أو " الانفصال " ولكنه يشعر بالتغير داخل ديناميّة العائلة .
- وتجدر الإشارة ، إنه قد تتزعزع عند الانفصال أو الطلاق مرحلة اكتساب الكلام ومرحلة النمو النفسي والحركي (2 - 3 سنوات) .

من عمر 3 الى 6 سنوات :

- بكاء متكرر .
- حزن .
- طرح اسئلة كثيرة .
- عدائية .

من عمر 6 الى 8 سنوات :

- هؤلاء الأولاد يفهمون نسبياً معنى الانفصال ونلاحظ لديهم :
- كآبة .
- رفض لأحد الأهل .
- لوم لأحد الأهل .
- تراجع في الدراسة .
- مشاكل في التعاطي مع الآخرين .
- صعوبة في إظهار المشاعر .

من عمر 9 الى 12 سنة :

- اكتئاب .
- خوف شديد واحياناً فوبيا .
- لوم للأهل .
- محاولة لعب دور الأهل تجاه اخوتهم الأصغر سناً ، أو محاولة التعاطف وأخذ طرف مع احد الوالدين وغالباً من يعيشون معه .

من عمر 12 الى 16 سنة

يؤثر انفصال الأهل سلباً على ثقته بنفسه . يعطي اهمية سطحية للانفصال ، فلا يبالي كثيراً كالفئات العمرية السابقة ، ولكن هذه الحالة تخلق لديه تساؤلات عن علاقاته في المستقبل ، وقد تظهر لديه اضطرابات في الأكل .

فانفصال الوالدين يمكن أن يسرع أو يؤخر في الـ (*Adolescent crisis*) . وأخطر ما يمكن أن يحدث في هذه المرحلة الانحرافات الجنسية ، أو السلوكية ، ومحاولة ايجاد دعم معنوي خارجي ، كبديل للأهل والتعلق به .

(*Mckinnon & Walleston , 1986*)

ويلاحظ عندهم : عدائية – تصرفات طائشة *Impulsivity* - وميول عدم انضباط اجتماعي معياري *Antisocial Traits* - وصعوبة في التعاطي مع الآخرين .

(*Levesque J. 1998*)

كما تجدر الإشارة انه وفي الفئات العمرية كافة ، عندما يعجز الولد عن إظهار مشاعره قد يترجم ذلك في عوارض نفس - جسدية أو ما يعرف بالـ **Psychosomatization** - كآلم شديد في المعدة أم في الرأس إلخ ، دون أي سبب طبي فيزيولوجي .

لا شك أن مرحلة الانفصال صعبة على الأهل والأولاد معاً ، ولكن على الزوجين المحافظة على دورهما كأهل حتى خلال مرحلة الانفصال ، فعليهما المواظبة على تفسير معنى الانفصال للولد ، وعليهما ان يطمئناه وأن يؤكدوا له مدى حبهما ، وليس ثمة ضرورة للتطرق الى تفاصيل الطلاق ، كما يجب على كل من الزوجين عدم أخذ أحد الأولاد طرفاً معه ، وعليهما أن يراقبا الأولاد وسلوكهم ، فقد لا تظهر كل الإنعكاسات والعوارض سريعاً ، وإنما على المدى البعيد .

وعليهما أن يحافظا قدر المستطاع على نمط الحياة العادي والطبيعي الـ **ritual** بمعنى أن يتابع الولد الذهاب الى المدرسة ، وممارسة نشاطه المعتادة والتواصل مع الطرفين ومع اصدقائه .
على الأهل ان يتفادوا تالياً تغيير السكن والمدرسة في آنٍ معاً ، لا يستطيع الولد استيعاب كل هذه التغيرات في وقت واحد .

وختاماً ، ولأن جميع علماء النفس من مختلف المدارس الفكرية حول العالم قد أجمعوا على أن الأسس النفسية التي ينشأ عليها الولد حتى سن المراهقة هي التي سترسم الى حد بعيد معالم مستقبله وصحته العقلية والنفسية عند البلوغ ، ولأن انفصال الزوجين من شأنه تعريض صحة الأولاد النفسية والعقلية لخطر محققٍ وأكد ، من خلال زعزعة الأسس النفسية السليمة التي يفترض أن ينمو الولد في ظلها ، لذلك لا بد من إيلاء مسألة تأثير انفصال الزوجين على أولادهما الأهمية التي يستحقها ، ولا بد تالياً أن ننصح الأهل بإلحاح لاستشارة أخصائي علم النفس لمتابعة مثل هذه الحالات والتخفيف من وطأتها .